

مستمعي العزيز ، سنبدأ من لقاء اليوم سلسلة جديدة نتأمل من خلالها بأحد أسفار العهد الجديد من الكتاب المقدس ، كلمة الله الحية. وسنحاول في دراستنا هذه أن نتعرض لمواضيع كثيرة ونناقش تساؤلات عديدة، ونجيب عن أسئلة هامة يطرحها الكثيرون حول الله والكون والطبيعة بشكل عام، والمسيحية بشكل خاص .

أما السفر أو الكتاب المناسب الذي سيساعدنا في طرح كل هذه الأمور، فهو رسالة الرسول بولس إلى المؤمنين في رومية أو روما، وهي من الرسائل الهامة التي تعالج الكثير من المواضيع الهامة. لكن قبل أن نبدأ بدراستنا هذه علينا أن نقدم للإخوة المستمعين لمحة موجزة عن هذه الرسالة، مثلا: متى ومن أين كتبت؟ وما هو هدف الرسول من كتابتها؟ وأن نعرفهم أيضا بكتابها .

من الملاحظ قبل كل شيء أن رسالة رومية تأتي كأول رسالة في ترتيبها في العهد الجديد من الكتاب المقدس ، إلا أنها في الحقيقة تعتبر من ضمن الرسائل التي كتبت متأخرة. ولعل السبب في ذلك لإحتوائها على العديد من الحقائق الكتابية الهامة، ولشرحها المسيحية بشكل واضح وعمق ، ولتقديمها في نفس الوقت ما يهم الكنائس والأفراد في حياتهم اليومية العملية.

ولا ننسى أنها كتبت إلى مدينة روما عاصمة الإمبراطورية الرومانية أي عاصمة العالم آنذاك. وكتبها الرسول بولس في أواخر رحلته التبشيرية الثالثة وما بين عامي ٥٧ و ٥٨ ميلادية. وكان الرسول بولس يقيم في مدينة كورنثوس عندما كتب رسالته هذه ، لكنه لم يكن قد ذهب إلى رومية بعد ، فكيف يكتب لجماعة لا يعرفها ولم يراها ؟

إن هذا يقودنا لمعرفة الأسباب التي كتب الرسول بولس من أجلها رسالته إلى رومية. ومن أهمها أنه أراد إخبار المؤمنين هناك رغبته في زيارتهم ، في طريق رحلته إلى إسبانيا لكي يكرز ببشارة الأنجيل هناك. فلقد قام الرسول بولس بتبشير الجزء الشرقي من الإمبراطورية الرومانية ، ولم يكتف بذلك بل أحس بضرورة ذهابه إلى الجزء الغربي من الإمبراطورية، ويبدو أنه أراد أن يتخذ من روما قاعدة له للانطلاق نحو الغرب. ونجد أنه يعتذر من المؤمنين في روما بسبب عدم إستطاعته زيارتهم قبل ذلك، لكي يكون له ثمر فيهم كما في سائر الأمم . وهذا يساعدنا على معرفة الأسباب الأخرى لكتابته هذه الرسالة .

نعم، فلقد أصبحت لدى الرسول بولس كرسول للأمم خبرة قوية ومعرفة عميقة بالمسيحية . ولهذا أراد أن يشارك المؤمنين الذين لم يبشروهم أو يقابلهم في إختياراته هذه ومعرفته التي أعلنها له الروح القدس. ولا بد أن الرسول بولس سمع عن المشكلات الموجودة في كنيسة روما ، فأراد معالجتها وتقديم الحلول الكتابية العملية التي تساعد المؤمنين هناك . ونستطيع تلخيص موضوع الرسالة إلى رومية في إحدى الآيات الواردة في الأصحاح الأول منها:

" لآتي لست أستحي بإنجيل المسيح لأنه قوة الله للخلاص لكل من يؤمن لليهودي أولاً ثم لليوناني. لأن فيه أعلن برُّ الله بإيمان لإيمان . " (العدد ٦ و ١٧) ولتأكيد هذه الحقيقة إقتبس الرسول بولس آية من العهد القديم : " أما البار فبالإيمان يحيا. " (العدد ١٧) لكن من هو الرسول بولس كاتب هذه الرسالة ؟ وكيف أصبح رسول الأمم الأول؟

وُلد الرسول بولس من عائلة يهودية في مدينة طرسوس في ولاية كيليكية ، ولهذا تمتع بالرعاية الرومانية ، أي الجنسية الرومانية . وكان إسمه العبري شاول ، وتعلّم من صغره حرفة صنع الخيام . وقد رباه والده الفريسي على التعاليم اليهودية الضيقة . ولما أتمّ تحصيله العلمي في طرسوس ، أرسله والده إلى اورشليم لكي يتربى عند رجلي غمالاتيل ، الذي كان من أشهر معلمي الناموس ومفسريه . وهكذا أصبح ضليعا بالناموس ومتعصبا لليهودية . ولهذا نجده يحارب المسيحية بشدة ويضطهد المسيحيين الأوائل ويحاول إبادتهم . ظنا منه أنهم يشكلون خطرا دينيا وسياسيا على اليهودية . ويبدو أنه كان له نفوذ واسع ومعروف لدى الأوساط الدينية اليهودية ، لذا نجد اليهود في محاكمة استيفانوس شهيد المسيحية الأول يخلعون ثيابهم عند رجليه. لا بل نقرأ في سفر أعمال الرسل أن شاول كان راضيا بقتل إستيفانوس . لكن العجيب أن هذا الشخص المتعصب المضطهد للمسيحيين قد إنقلب فجأة وأصبح رسول المسيحية الأول . أجل كيف يمكن لشخص مثل هذا أن يتحوّل في ليلة وضحاها من عدو للمسيحية إلى داعية كبير لها ؟ هذا ما سنجيب عنه الآن.

نعم كيف يمكن لشخص متعصب مثل شاول لابل مضطهد للمسيحيين أن يصبح من المؤمنين بالمسيحية ورسولا لها ؟ أليس هذا أمرا عجيبا وملفتا للإنتباه يا أعزائي؟

لم يكتف شاول بملاحقة المسيحيين في اورشليم وسجنهم وتعذيبهم ، بل أخذ رسائل من رؤساء الكهنة اليهود إلى دمشق ، لكي يُسمح له بملاحقة المسيحيين هناك واعتقالهم وجرهم إلى اورشليم . لكن أثناء ذهابه إلى دمشق وعندما أصبح قريبا منها حصل معه حادثا عجيبا . ففي وسط النهار أشرق بصره حولته نور من السماء . فسقط على الأرض وسمع صوتا قائلا له: شاول شاول لماذا تضطهدني . فأجاب شاول : من أنت يا سيد . فقال الرب . أنا يسوع الذي أنت تضطهده . صعب عليك أن ترفض مناخس . أي صعب عليك أن تعاند أو تتحدى مشيئتي. والمنخس هو عبارة عن قطعة من حديد دقيقة الرأس ، كانت تستعمل لنخس الحيوانات

لتسرع في السير . والمعنى شبيه بالمثل الحالي : " العين التي تضرب المخرز تُفقد . " فأجاب شاول وهو مرتعد ومتحير : يارب ماذا تريد أن أفعل . فقال له الرب قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل . وأما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون أحدا . ثم نهض شاول عن الأرض وكان وهو مفتوح العينين لا يبصر أحدا . فاقتادوه بيده وأدخلوه إلى دمشق . وكان ثلاثة أيام لا يبصر فلم يأكل ولم يشرب . (راجع أعمال الرسل ٩: ١-٩)

حقا إنها لحادثة عجيبة ، فالمسيح نفسه ظهر لشاول في الطريق . لكن الرب ظهر أيضا في رؤيا لتلميذ له في دمشق إسمه حنانيا . وطلب منه أن يذهب ويقابل شاول ويضع يديه عليه لكي يبصر . لم يكن غريبا أن يحتج حنانيا إلى الرب ، فلقد كان شاول معروفا باضطهاده للمسيحيين . لكن الرب أقنعه بجواب أهله عندما قال له : اذهب . لأن هذا لي إناء مختار ليحمل اسمي أمام أمم وملوك . لا بل تابع الرب قائلا : لأنني سأريه كم ينبغي أن يتألم من أجل اسمي . أي أن الرب اختار شاول لا ليصبح رسولا للمسيحية فحسب ، بل ليتألم من أجل المسيح . أجل ما أعظم نعمة الله . وفعلا ذهب حنانيا وتقابل مع شاول الذي أبصر ثم اعتمد بإسم المسيح . ومن يومها بدأ يكرز بالمسيح وبشارة الخلاص المفرحة . مما أثار دهشة جميع الذين يعرفونه كمضطهد للمسيحيين . (راجع سفر أعمال الرسل ٩: ١٠-٢٢)

وبعد عدة سنوات بدأ الرسول بولس (الذي هو شاول) رحلاته التبشيرية الثلاث منطلقا من مدينة أنطاكية في شمال سورية. والتي كان من نتائجها نشر رسالة الإنجيل في كل أنحاء الجزء الشرقي من الامبراطورية الرومانية. أي في سورية وتركيا واليونان ودول البلقان وأجزاء من إيطاليا . ويظن البعض أنه عاد وذهب إلى إسبانيا . وكتب الرسول بولس أربعة عشر رسالة إلى الكنائس المختلفة وخدام الرب، تعتبر جميعها من أجزاء العهد الجديد.

ولقد واجه الرسول بولس صعوبات متنوعة واضطهادات كثيرة أينما توجه أثناء خدمته. وتآمر عليه اليهود المتعصبين في أورشليم ، حيث أقتيد إلى روما أسيرا بناء لطلبه ، وبقي محجوزا لمدة سنتين في بيت أستأجره لنفسه. واستشهد الرسول بولس في روما عام ٦٨ ميلادية بقطع رأسه ، بعد أن صار رسول الأمم العظيم . وترك لنا رسائله البليغة التي تكشف الحقائق المسيحية وتشرحها بكل وضوح . لهذا لم يكن غريبا أن يُعتبر الرسول بولس بحق فيلسوف المسيحية ومعلمها الأول . وسنقوم ابتداء من الأسبوع القادم بدراسة رسالته إلى المؤمنين في مدينة رومية ، والتي نأمل أن نجد منها جميعا الفائدة المرجوة .

هل تود صديقي أن تختبر خلاص الله المجيد كما إختبره مضطهد الكنيسة شاول ؟ لما لاتأتي بالتوبة والإيمان بشخص الفادي يسوع المسيح . وعندها لا بد أن تتال الغفران وتتطلق مخبرا كالرسول بولس ببشارة الإنجيل المفرحة.